

ثقافة الخطر

الحياة مزيج من خير عميم وشيء من شرّ طارئ ، فمن علم كيف يحافظ على عميم الخير فقد نأى بنفسه عن التعرض لشر طارئ الخطر وما ينطوي عليه من أهوال ، فالخير الذي نقصده غنيمة السلامة التي يهنأ بها عيشه ويهدأ سكنه .

والمقصود بالشر: غرم الحوادث التي تعصف بالحال الهني والسكن الهادئ تضاعلت فيها معاني السلامة تضطرب فيه السكينة، وبين الحاليين يكمن فاصل رفيع لا يدركه إلا النابهون الحاذقون الحاذرون من الأحداث ومصائبها. عكسهم أولئك الذين لا يفتنون إلى مؤشرات الخطر ولا يتنبهون لمقدمات الحوادث .

فمن أفاء الله عليه بنعمة البيت والعيال وسبل الرزق فعليه أن يرفعى نعمة الأمان وسلامة الأحوال، ويتخذ من الأسباب ما يحفظها. فمن تحوم حوله نذر خطر، ولا يعيها حق وعيها أو لا يبادر إلى تجنبها مع علمه بشرّها فهو كمن يقف على شفا هاوية معتقداً أنه لن يسقط فيها بنقص وعي أو انعدام إدراك بماهية الخطر ولا مبالاة بما سيجني غير آبه بما سيؤول إليه ، وفي هذا مجازفة بالروح والمال والولد. فالأمر على ضربين : إما سلامة تسلمنا أو خطر يصيبنا ، فأَيّ الضربين أولى؟ بأنْ نضرب له ضروب العناية.

قص ثقافة الخطر ارتماء في أحضان الحوادث، فمن توسّد أسس السلامة عرف كيف يوطنها ويبعد نقيضها، فلا يعرف معنى الخطر إلا من نشط ملكة الفطنة.

فلا يلزم أن نخلد إلى الدعة حتى يفاجئنا حادث وتلفحنا ناره ؛ قد يقول قائل: إن مشاغل الحياة واللهث وراء مكاسبها والكد الدؤوب لأجلها، قدر الإنسان، قد تلهيه و تحمله على مبدأ التوكل. نقول: التوكل حق ومن صميم الإيمان لكن يجب أن نفرق بين التوكل والتواكل، فهذا شيء وذاك شيء آخر.

فالتوكل يعني أن نضع الأمور في نصابها، ونتخذ لها من الأسباب ما يفعلها ويؤيد وثاق حصولها. أما التواكل فهو ألا نتخذ من الأسباب كفايتها ومن الوسائل قدرها، ونترك الأمور على حالها دون تدخل بأسبابها المشروعة حتى تقع الواقعة ونتعرض لفاجعة، فهو أمر مُنافٍ لمعاني التوكل، وقد علّمنا نبينا ﷺ الذي قال: "اعقلها وتوكل".

فمن أراد أن يعيش في سلام من المخاطر فلا بد أن يُعدّ لها عُدتها .

ثقافة الخطر تبدأ من الشعور به وحساب نتائجه، ولنعلم أنه ليس من إنسان في منأى عن الخطر، مما يؤكد لزوم تحسُّس أسبابه والوقاية منه ومدافعتة، وأن ننمي حسنا الوقائي الذي هو بمثابة المستكشف الأساسي لاحتمالات الحوادث .. فإذا عرفنا سبب الخطر عرفنا كيف نتلافاه.

معلوم أنه ليس كل الناس سواء في التقاط مؤشرات الحوادث؛ إذ تختلف قدراتهم الإدراكية بحسب العمر والتجربة والبصيرة، فمن المؤشرات ما ظهر ومنها ما بطن.

فما هو ظاهر أو محسوس فالناس من الفرار منه سواء، فمن يشاهد ناراً أو تلسعه حرارتها يفر منها بفطرته البشرية، حتى الطفل إذا قرّبت منه كأس شاي ساخن قد يلمسه لكن بمجرد ملامسته يشعر بحرارته، يبعد يده وكذا المجنون عندما يرى النار يفر منها.

وأما ما بطن منها فهو شاهدنا، فالطفل معذور والمجنون لا يؤاخذ إذا تجاهلوا ما يؤمئ إلى خطر. لكن ماذا عن الكبار المدركين كيف لهم أن يقعوا مواقع الأخطار ولم يلفت انتباههم وأمامهم مؤشراتهم ويتغافلون عن احتمالات وقوعها؟ أليس هذا إهمالاً أو تغاضياً أو توقّعاً موجّلاً؟! فإذا وقع حادث أدرك مغبة تأجيل تجاهله، فهل كان يحسب أن الحادث يستجيب لتأجيله حتى ينتهي من مشاغله؟ مثل هذا ماذا يكون عذره من نفسه أو من يؤول إليه أمره؟!

بعض من الناس لا يعير اهتماماً كبيراً لإمكان وقوع حريق في منزله خاصة إذا كان المنزل حديث الإنشاء مغترّاً بحداثته، فمن مرّ بتجربة سابقة حدثت له أو شاهد حدوثها وتأثر بها، فقد يحفز ذلك إلى أن يضع في تقديره إمكانية وقوع حريق في بيته؛ ليعطيه شيئاً من اهتمامه معتبراً أن جوهر القضية ينحصر في اللهب وما سواه أقل خطراً، مما يجعله يركز على أدوات الحريق غير مدرك

ما بعده، الذي قد يكون أكثر حرجًا من الحريق ذاته، فالدخان المتصاعد بما يحمله من أكسدة وغازات سامة بفعل الديكورات والموجودات المنزلية يمكن أن يتراكم في زوايا المنزل ولا يجد له منفذًا للخروج، فيكون في وضع يعادل ألسنة اللهب من التأثير، فإذا كان اللهب محرقًا فالآخر مخنقًا، وإذا كان هناك إمكانية للتخلص من اللهب أو الهروب منه، فإلى أين يكون الهروب؟ أليس إلى أروقة المنزل؟

عندها يكون الدخان قد انتشر وغمت غماماته تلك الأروقة، فمن الصعوبة التخلص منه، وبذلك يكون الدخان أشد خطرًا من اللهب في بعض الحالات، وهو ما يستوجب أن نضع هذه الحقيقة في الاعتبار بوضع فتحات تهوية كافية وجعلها سهلة الفتح، لتخفيف تركيز تراكم الأدخنة وعدم إعاقة الوصول إليها بحواجز ودواليب ومتروكات تعطل فتحها في الوقت المناسب.

ويزداد الأمر صعوبة أن بعض المواد تطلق غازات سامة يتضاعف معها الموقف ويزداد الحرج بحيث تتضاءل فرص النجاة من اختناق الأدخنة والغازات السامة، والأدهى من ذلك إذا لم يكن المنزل مزودًا بمراوح شفط الدخان وطرد الغازات، مما يقلص فرص النجاة، فإذا بالإمكان مقاومة اللهب فقد لا يستطيع مقاومة الدخان، الذي يشل الحركة ويكتم النفس فيخرب الإنسان سريعًا.

ولذا يتوجب التذكير أن الحريق بأبعاده الثلاثة: لهب، وحرارة، ودخان. فكل بُعد من أبعاده لا يقل أهمية عن الآخر، فقد يكون هناك حريق غير مرئي يتصاعد دخانه لا يدركه أصحاب المنزل

إلا بعد مرور وقت، وهم في طورهم نائمون أو لاهون أو بعيدون
عن مكان وقوعه، يدركونه بعد مرور وقت بالشَّم أو بحساسية
العين يبدلون مشقة بالغة لمقاومته مما يعني أن الحرائق خطورتها
متنوعة لا يقلّ بعضها عن البعض الآخر. ولذلك نشدد القول ونكرر
التنويه أن لا نخلد الى الدعة متهاونين بمؤشرات ، فمؤشرات
الخطر مقدمة لما هو أخطر إن لم يتم التدخل لمعالجتها تتحول إلى
حادث .

